

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلِهِ



فرضه الله وجعله في مكان واحد، وزمان واحد يجتمع فيه المسلمون من كل الأقطار بندا واحد وتلبية واحدة

الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة

فيه إنفاق المال ابتغاء مرضاة الله وإجهااد البدن
بوعناء السفر ومشقة مفارقة الأهل والوطن
للقيام بواجب شكر المنعم عند بيته المحرم
هنا يشهد المرء على نفسه إسهادا عاما
يحضره الألوفا بأنه العبد العاجز الفقير
والله هو المعبود والقوي والغني

منه، ورأى الله في كل شيء؛ في عسره وبسره، في صحته ومرضه، في غناه وفقره، قد أسلم نفسه لله: « وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ » [لقمان: 22]، ولهذه الاعتبارات كان الحج من أسامي معاني الخير، وقد جاء تاييدا لهذا المعنى وكشفا عن منزلة الحج عند الله - قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الحاج في ضمان الله مقبلا ومدبرا))، وتلك منزلة لم نرها لغير الحاج، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه))، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال: ((لكن أفضل الجهاد: حج مبرور))،

جميعها في كتابه العزيز عظيم فضله، وجزيل ثوابه، فقال: « وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ » [البقرة: 197]، وقال: « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » [الزلزلة: 7]، وقال: « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » [النحل: 97]. ولكن طرق الخير - على كثرتها واستتباعها لعظيم الأجر - ليست في درجة واحدة، بل تتفاوت منزلتها عند الله بتفاوتها في عموم النفع وخصوصه، وسهولة العمل ومشقته، فما عم نفعه وعظمت مشقته ارتفعت منزلته وسُمِّت مكانته؛ فالصلاة خير، والصوم خير، والزكاة خير، والأمر بالمعروف خير، والنهي عن المنكر خير، وإمارة الأذى عن الطريق خير، والتسبيحة خير، وصلة الأرحام خير، والصلح بين الناس خير، وهكذا إلى آخر ما فيه نفع للناس وكان مَرْضيا عند الله، ولكن أمرا واحدا جمع أنواعا من النفع تفرقت في غيره، ومجموعة من البر لم تجتمع في غيره، وهو حج بيت الله الحرام، وفيه إنفاق المال ابتغاء مرضاة الله وفي سبيل الله، وفيه إجهاد البدن في وعناء السفر، ومشقة مفارقة الأهل والوطن للقيام بواجب شكر الله المنعم عند بيته المحرم، وفيه إسهاد المرء على نفسه إسهادا عاما يحضره الألوفا من إخوانه المسلمين في صحراء جرداء ليس فيها للنفس متعة - بأنه العبد والله هو المعبود، وأنه العاجز والله هو القوي، وأنه الفقير والله هو الغني، وأنه المسائل والله هو المسؤول، وأنه المستعين والله هو المستعان، رب الحمد والنعمة، لا إله إلا هو الغني الحميد.

إن من امتلا قلبه بهذا الموقف، وعرف به عزة الله وذلة العبد - صفا قلبه، وسَمَّت روحه، وطابت للخير نفسه، فلا يعرف الشر، ولا تقترب النقيصة



يلتقي الحجاج إخوانا في الله رحماء بينهم
يتعارفون ويتناصحون ويتعاونون فتتحد
كلمتهم وتقوى شوكتهم
أمر واحد جمع أنواعا من النفع تفرقت
في غير ومجموعة من البر لم تجتمع
في سواه وهو حج بيت الله الحرام

بقلم : د. محمود شلتوت
شيخ الأزهر الأسبق

أيها المسلمون ..

إن القرآن الذي أنزله الله على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأرشدهم به إلى سبيل السعادة والحياة الطيبة، جعل الله لنزوله عبادتين تتكرران بتكرار السنين والأعوام، تذكرون فيهما نعمة الله عليكم، وتشكرونه على ما هداكم به من الإيمان: عبادة الصوم؛ بالنظر إلى الشهر الذي نزل فيه، وهو رمضان، وعبادة الحج؛ بالنظر إلى المكان الذي نزل فيه، وهو مكة، وكما جعل الصوم لذلك ركنا من أركان الدين، جعل الحج ركنا من أركان الدين.

والحج هو: زيارة بيت الله الحرام، وقد فرضه الله على المسلمين بشرط القدرة والأمن على الطريق: « وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » [آل عمران: 97].

فرض الله الحج وجعله في مكان واحد، وزمان واحد، يجتمع فيه المسلمون من كافة الأقطار، بندا واحد، وتلبية واحدة، وأمنية واحدة، إخوانا في الله، رحماء بينهم، يتعارفون ويتناصحون ويتعاونون، فتتحد كلمتهم، وتقوى شوكتهم، ويعظم شأنهم في أعين الخصوم المناوئين « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » [البقرة: 197].

فرضه وخصه بمكة المكرمة التي أوجز فيها أول بيت وضع للناس « مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ » فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا « آتِ آلَ عِمْرَانَ: 96، 97؛ تذكيرا بنعمة الإسلام الذي بثق من تلك الأماكن، فطبق الأفاق، وامتدى بنوره أهل المشرق والمغرب، فكان خير مرشد وأعظم منقذ، أخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

فرضه الله وخصه بالأشهر التالية لرمضان لتتلاحق الذكريات: ذكرى المكان بذكرى الزمان، فيشتد تعلق القلب بما له الذكرى، وهو القرآن، فتنتطبغ النفوس في بقية السنة على شرائعه وإرشاده، فلا تحيد عنه، ولا تميل إلى سواه، ويكون اتجاه المسلمين إلى بارئهم بزيارة بيته الحرام، ودخولهم في حظيرة قدسه عقب التصفية الرياضية التي اكتسبوها من الصوم في شهر رمضان، فيكون ذلك ادعى للقبول، وأقرب إلى الإجابة.

فرضه وحدد ميقاته، وبين آدابه، وشرح مناسكه،

ووعده عليه بعظيم الثواب: « الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَزِيدُ مَا كَانَ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ » [البقرة: 197].

هذا هو مكان الحج من دينكم أيها المسلمون، وهذا هو سر افتراضه عليكم، فبادروا أيها المستطيعون إلى أداء فريضة الحج، واعلموا أن ما تنفقونه في سبيله يوفى إليكم وأنتم لا تظلمون.

بادروا إلى أداء فريضة الحج، وتعرفوا بسفركم إلى الأقطار الحجازية أحوال إخوانكم المسلمين، وأطعموا جائعهم، واكسوا عاريهم، وأنقذوا فقيرهم من مخالب الفقر والفاقة. حَقَّقُوا دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ: « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » [إبراهيم: 37].

سافروا إلى الأقطار الحجازية، وأدوا فريضة الحج، يؤتكم ربكم كفايل من رحمته؛ كفل أداء فريضة الحج، وكفل لتفريج كرب المسلمين.

أيها المسلمون، إن الله سبحانه وتعالى علق فلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة على فعل الخير، والدعوة إلى الخير؛ قال تعالى: « وَلِتُكِنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » [آل عمران: 104]، وقال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْجِعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » [الحج: 77]. والخير اسم لكل ما يرضاه الله ويكون نافعا في الدين أو الدنيا أو فيهما.

إلا وأن طرق الخير كثيرة لا تكاد تحصى، وقد رغب الله في سلوكها، وأوصى بها، ووعده الله عليها

